محاضرة 8: النظريات في الأنثروبولوجيا (3/ النظرية الوظيفية)

مقدمة: مرَت الأنثروبولوجيا في بداية القرن 20 باتجاهين مختلفين: التطوري الذي ركَز على تتبَع المجتمعات عبر الزمن، والانتشاري الذي قام على فكرة انتشار السمات الثقافية عبر الزمان والمكان، ثم جاءت مرحلة التفسير الوظيفي الذي يقوم بدراسة الثقافة من حيث الوظيفة التي تؤديها، وقد انتشر وازدهر في فرنسا وانجلترا على وجه الخصوص وكذلك في ألمانيا ولكن بدرجة أقل.

نشأة الوظيفية:

تعود بواكير الاتجاه الوظيفي للفكر الفلسفي اليوناني القديم ولأبحاث ابن خلدون وإيميل دوركايم، لكن مصطلح الوظيفة ظهر مع نهاية القرن التاسع عشر في الفلسفة ثم انتقل إلى ميادين علمية أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والعمارة والسياسة وغيرها، ويعتبر مالينوفسكي وراد كليف براون من رواد هذه النظرية في الأنثروبولوجيا.

تعريف الوظيفية:

يستخدم الباحثون تعبير الوظيفية للدلالة على ترابط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض في نسق وظيفي، فالمجتمع عبارة عن كلَية مسيَرة من طرف نظام الوظيفة (كل عضو في المجتمع يؤدي وظيفة).

ماذا نعني بالكليَة؟ نقصد بها الوحدة والانسجام بين العناصر المكوَنة للمجتمع، فالمجتمع يشكَل طلبات تقوم بأدائها العناصر المكوَنة له وينتج عن ذلك التوازن والمنفعة فهدف الوظيفة هو المنفعة la finalité/ l’utilité

النظرية الوظيفية في الأنثروبولوجيا:

يعرَف مالينوفسكي الوظيفية في مجال الأنثروبولوجيا قائلا: **" التحليل الوظيفي للثقافة ينطلق من مبدأ أنَه في كل أنواع الحضارات: كل عادة، كل شيء مادَي، كل فكرة، كل معتقد يملأ وظيفة حيوية ما"**[1]

الضرورة الوظائفية: في الأنثروبولوجيا "الكل ضروري لتوظيف الكل" والتنظيمات الاجتماعية هدفها الاستجابة للحاجات الأساسية للإنسان، وفي النظام الثقافي يجب التفريق بين الوظيفة الظاهرة والوظيفة الباطنة (الرمزية)

أ – الوظيفة الظاهرة: ويقصد بها الأهداف والغايات الظاهرة التي يهدف النظام الاجتماعي إلى تحقيقها وتكون نتائجها واضحة وظاهرة ويسهل التعرَف عليها من قبل أيَ شخص في النظام.

ب – الوظيفة الكامنة أو الباطنة: ويقصد بها تلك النشاطات غير المميَزة للنظام الاجتماعي التي يصعب التعرَف على نتائجها وآثارها.

تطبيق الوظائفية: هناك ثلاث محاولات لتطبيق الوظائفية هي:

1- الوظائفية المطلقة: ويمثَلها مالينوفسكي، وترتكز على ثلاث عناصر هي:

أ- النقد أو الرد على النظرية التطورية: لأنَها غير مثمرة وغير علمية (فهي تعتقد أنَ كل المجتمعات البدائية لها نفس الصيرورة التطورية ونفس الوزن التطوري).

ب - البحث عن الأصل المميَز لكل ثقافة: لكل ثقافة وحدة تميَزها وهي أيضا مجموعة متكاملة موحدَة ينبغي البحث عنها وفهمها كليَا.

ج - تقدير مفهوم الكليَة: وهي ناتجة عن العلاقات الثقافية في تبادلها.

إذن لكي نشرح ظاهرة ثقافية ما، لابد من تعريف الوظيفة التي تؤديها هذه الظاهرة في مجتمعها استجابة للحاجات.

2الوظائفية النسبية: ويمثلها روبرت ميرتون، وترتكز على مجموعة من الافتراضات الأساسية التي هي بمثابة الصعوبات المنهجية في التحليل الوظيفي للظواهر الاجتماعية:

- بعض الوظائف فقط ضرورية ولكي تؤدي دورها لها حلول متغيَّرة.

[1] د. مشربط عطار عفيفة **محاضرات مكتوبة بخط اليد في الأنثروبولوجيا**، 1997/1996 معهد الثقافة الشعبية جامعة تلمسان

ـ بعض العناصر مثل المعتقدات لا يمكن تعميمها على كل المجتمعات فوظيفتها إذن جزئية خاصة في المجتمعات الصناعية.

ـ ليس كل العناصر داخل النسق الكلي تؤدي وظيفة إيجابية فقد يكون بعضها معوقا وظيفيا يعمل في الاتجاه المعاكس للوظائف الإيجابية.

ـ يرفض ميرتون انحصار فكرة (الوحدة الوظائفية) ويختار أساس منهجي هو: كل تحليل وظائفي يهدف إلى تحليل وحدة (لجماعة ـ لطبقة ـ لمجتمع) ناتجة عن جميع الحاجات المستعملة لتوظيفها.

ـ لا وجود لوحدة وظائفية منعزلة ما عدا المتعددة يعني مجموعة من الوحدات الوظائفية لجانب ثقافة ما.

ـ التمييز النسبي لمفهوم الوحدة هو أيضا متعلَق بجانب الضرورة يقول ميرتون **(إلا بعض الوظائف الضرورية للعيش لأنها واجبة للحياة)** فيقترح شيئا آخر وهو بحث الشروط السابقة الضرورية للوظيفة، نسبيا لهذا المفهوم فإنَ ميرتون يمحي وجود الضرورة المطلقة ويعوضها بمصطلح المعادل الوظيفي لكي نعرَف الوظيفة الممارسة على جميع النظم الاجتماعية وهذا ما يسمح لنا بتحقيق التفريق بين الوظائف التي تشارك في الانسجام الاجتماعي والتي تعاكسه، أدخل ميرتون أيضا التمييز بين النتائج الظاهرة وغير الظاهرة لدور التحليل الوظيفي.

3ـ البنيوية الوظائفية: ويمثلها تالكوت بارسونز الذي يحاول شرح مشاركته في حفظ بقاء البنية الاجتماعية ونتائجها فهو يهتم بالنظام الاجتماعي في حد ذاته لهذا يتساءل عن الوظائف الضرورية اللازمة لوجود المجتمع ودوامه.

رواد النظرية الوظيفية:

إضافة إلى برونيسلاف مالينوفسكي وميرتون وتالكوت بارسونز هناك رواد آخرين كانت لهم إضافات مهمَة لهذه النظرية من بينهم: ـ

1ـ دون فان بارج: هو احد المؤسسين للفكر الوظيفي وقد بلور أفكاره الوظيفية في التحليل الاجتماعي في مجموعة من النقاط:

ـ اعتبار المجتمع نسقا كليَا مؤلفا من مجموعة من الأجزاء المتكاملة فيما بينها والمترابطة وظيفيا حتى يحقَق النسق أهدافه.

ـ تخضع الأنساق الاجتماعية لحالة من التوازن الديناميكي الذي يشير إلى قيام حالة انسجام وتلاؤم.

ـ إنَ الانحراف والقصور الوظيفي يمكن أن يقوم داخل النسق غير أنه يحل نفسه بنفسه ليصل إلى التكامل والتوازن.

ـ يأتي التغيير من ثلاث مصادر هي: تلاؤم النسق وتكيفه مع المتغيرات الخارجية، والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والثقافي، والتجديد والإبداع من جانب أفراد المجتمع.

ـ إن العامل الرئيسي في خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق العام على القيم أي أنَ تكامل القيم ينعكس على التكامل الاجتماعي.

2ـ ارنست نيكل: يرى أنَ المجتمع يتكوَن من أنظمة فرعية متخصَصة تقوم بتحقيق وظائف اجتماعية تستهدف إنجاز مجموعة من الأهداف أهمها: تحقيق الغايات، تكافل مكونات النظام، المحافظة على النظام العام، التحكم في الاضطرابات والاختلافات التي تحصل بين أقسام النظام الواحد وعلاقة الأنظمة مع بعضها البعض.

ويحدد (نيكل) ثلاث أنواع من الوظائف التي تمارسها الأنظمة الاجتماعية وهي:

ـ الاعتلال الوظيفي ويقصد به معطيات العمل الاجتماعي وتبعاته التي لا تساعد الأفراد على التكيف مع أهداف النظام.

ـ الوظيفة الظاهرة ويقصد بها معطيات عمل النظام وتبعاته الإيجابية التي تساعد الأفراد على التكيف مع أهداف النظام.

ـ الوظيفة المستمرة ويقصد بها أعمال النظام غير المميَزة.

3ـ راد كليف براون: (1958/1881) قام بدراسة النظام الاجتماعي لدى سكان جزيرة (أندمان) وخاصة العادات الاحتفالية لديهم وتوصل إلى أنَها تشكل نظاما مترابطا ولا يمكن فهم معناها إذا نظرنا لكل واحدة منها على حدى، وفي ما يخص مفهوم وظيفة النظام فإنَ براون يرى أنها تكمن في الدور الذي يقوم به الجزء من أجل النسق الاجتماعي الكلَي.

الافتراضات العامة للوظيفية:

الافتراض1: المجتمع يشكّل بناء اجتماعيا، وهذا البناء عبارة عن أنماط ثابتة نسبيا من السلوك الاجتماعي، وداخل البناء الكلي هناك أبنية جزئية مهمَة في التحليل الوظيفي مثل الاسرة والدين والسياسة والاقتصاد.

الافتراض2: كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي يفهم من خلال وظيفته الاجتماعية، وتعني الوظيفة نتائج عمل المجتمع ككل فكل جزء من المجتمع له وظيفة واحدة أو أكثر وهي شرط لاستمرار المجتمع، ويعتبر التوازن من خلال العلاقات المتبادلة أحد الخصائص المهمَة للنسق.

Functionalism: in social sciences theory based on the premise that all aspects of a society-institutions, roles, norms, etc. serve a purpose and that all are indispensable for the long-term survival of the society. The approach gained prominence in the works of 19th century sociologists, particularly those who viewed societies as organisms. The French sociologist Emile Durkheim argued that it was necessary to understand the “needs” of the social organism to which social phenomena correspond. Other writers have used the concept of function to mean the interrelationships of parts within a system, the adaptive aspect of a phenomenon, or its observable consequences. In sociology, functionalism met the need for a method of analysis; in anthropology, it provided an alternative to evolutionary theory and trait-diffusion analysis.

A social system is assumed to have a functional unity in all parts of the system work together with some degree of internal consistency.

Functionalism also postulates that all cultural or social phenomena have a positive function and that all are

indispensable. Distinctions have been made between manifest functions, those consequences intended and recognized by participants in the system, and latent functions, which are neither intended nor recognized.

The British anthropologist Radcliffe-brown explored the theoretical implications of functionalism as a relationship between a social institution and the “necessary conditions of existence” of a social system. He saw the function of a unit as the contribution it makes to the maintenance of a social structure, the set of relationships among social units.

In an attempt to develop a more dynamic analysis of social systems, the American Talcott Parsons Introduced a structural-functional approach that employs the concept of function as a link between relatively stable structural categories. Any process or set of conditions that does not contribute to the maintenance or development of the system is said to be dysfunctional. In particular, there is a focus on the conditions of stability, integration, and effectiveness of the system (Functionalism social science, written and checked by The Editors of Encyclopaedia Britannica, last updated: Oct 19, 2023, www.britannica.com)